أُحُـــدْ[١]

في السنة الثانية بعد الهجرة، والصِّرَاعُ قائم بين الكفر والإيمان، غُلب كفّار قريش، وَرَجَــع فَــلُّهم إلى مكة مذموماً مَدْحُوراً، بعد أن هُزِموا يوم بدر، فَقُتِل منهم مَنْ قتل، وأُسِرَ من أُسر.

فهذا أبو سفيان بن حرب زعيمُهم يعودُ الْخَيْزَلى[٢] بحزب الشيطان، وقلوبُهم تصطلى ناراً، وتتّـقِدُ أُوَاراً مما أصابهم يوم نَصَرَ الله المسلمين ببدر.

وهـذا رسـولُ الله الكـريـم فـي صحـابتـه يقبـل فِـدَاء الأسـرى، ويتـرفـق بضعيفهـم ويُمنُّ على فقيرهم، ومِنْ هؤلاء أبو عزَّة الجُمَحِيُّ يقول: يا رسول الله، إني فقير وذُو عِيال وحاجة عَرَفتها، فامنن عليَّ، ويفيض كرمُ الرسولِ، فيَمُنُّ عليه، ويعطيه مما أفاء الله.

* * *

استمَرَّت قريش سنةً تُعِدُّ سلاحها، وتُؤلِّبُ عديدها، حتى إذا كانت السنةُ الثالثة بعد الهجرة مشى عبدُ اللّه بن ربيعة، وعِكْرمَة بن أبي جهل، وصفوان بن أميّة في رجالٍ من قريش، ممن أُصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بَدْر، يحَرِّضُونهم على القتال والأخذ بالثأر، فينادون: يا معشر قريش، إنَّ محمداً قد وترَكُمْ، وقتلَ خياركم، فأعينونا بهذَا المال على حَرْبه، فلعلنا ندرك منه ثأرَنا بمن أصاب منَّا.

يدبَ هذا النداء في آذان القوم، فيتبارَوْن في حشد الجنود، وبذل الأموال؛ فهذا جُبَير بن مُطعم يقول لغلامه: إن قتلتَ حمزة عمّ محمد بعمِّي قتيلَ بدر فأنت طَلِيق، وهذا غيره من طُغاة القوم يقدِّمُون أموالهم، وعبيدهم، وَعَتَادهم للقاء هذا اليوم العظيم:

---

(١) أحد: جبل بينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها.

(٢) الخيزلى: مشية فيها تثاقل وتبختر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[١].

وبهذا وَعَدهم الله، ومن أصْدقُ من الله قيلاً! ولقد صدق الله وَعْدَهُ، ونصر جُنْدَه يوم الفتح العظيم.

اجتمعت قريشٌ لحرب رسول الله ﷺ، يقودها أبو سفيان، ومعهم جَمْعٌ من كِنَانة وأهل تهامة، وانبثَّ شياطينهم، ينفرون المقاتلين لحرب الله؛ فهذا صفوان بن أمية يُقْبِلُ على أبي عزّة طليق بدر، فيقول: يا أبا عزّة، إنك امرؤ شاعر، فأعِنَّا بلسانك فاخرج معنا.. فيردّ أبو عزة قائلاً: إن محمداً قد مَنَّ عليَّ فلا أريد أن أُظاهر[٢] عليه، فيقول صفوان: فأعنَّا بنفسك، فلك عليّ إن رجعت أن أُغْنيك، وإن أُصبتَ أن أجْعَل بناتِك مع بناتي، ويصيبهن ما أصابهنَّ من عُسْرٍ ويُسْر.

خرج كبار قريش ومعهم نساؤهم، فهذه هند بنت عتبة زوجُ أبي سفيان، احتشدت في نساءٍ من أشراف قريش، تحمِّسُ الجيش، وتنفِّر المقاتلين، وهم يخبُّونَ في سيرهم ويُوضِعون[٣]، حتى تستقرَّ رحالهم بجبَل أُحُد مقابل المدينة.

وهذا رسولُ الله الكريم في جَمْع من صحابته يُشَاورهُم في الأمر، ويُجيلُ قِدَاح الرأي إذ يقولُ: «**فإن رأيتم أن تُقِيموا بالمدينة وتَدَعُوهم حيثُ نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مُقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم**.

فينطلق عبدُ اللَّه بن أبيّ بن سَلُول مُحَبِّذاً رأيَ رسول الله ﷺ داعياً إلى الأخْذِ بما يراه، إلاّ أنَّ نَفَراً ممن حبَّبَ الله إليهم الاستشهادَ في سبيله قالوا: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يَرَوْنَ أنا جَبُنَّا عنهم وضعفنا، فيردّ دعوتهم عبد اللَّه بن أبيّ: أن يا رسولَ الله، أقِمْ بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قطّ إلاّ أصابَ منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه.

وما زالَ القومُ في أخذ وردّ حتى قام رسول الله ﷺ بعد صلاة الجمعة، فلبس

(١) سورة: الأنفال، الآية: ٣٦.
(٢) أظهر: أعان.
(٣) يوضعون: يسرعون في السير.

لأمَته(١)، وتهيأً للقتال، فقال القوم: يا رسول الله ﷺ، استكْرهناك، وليس لنا ذلك، فإن شئتَ فاقعُدْ. فيقول ﷺ: «**ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأْمَتَهُ أن يضعَها حتى يُقاتل**».

ثم خرج الرسول ﷺ في ألف من أصحابه بعد أن خلف بالمدينة ابن أم مَكْتوم يَؤمُّ الناس في الصلاة، حتى إذا كان الْجَيش بين المدينة وأحُد انْخذل عنه عبدُ اللّه بن أبيّ بن سَلول بثلث الناس، وهم بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، متعلّلاً بأن الرسول ـ ﷺ ـ قد أطاع غيرَه وعصاه!!

ثم قال: لو نَعْلَمُ قِتَالاً لاتّبَعْنَاكم!! ما ندري علامَ نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس؟! ولكن عبد اللّه بن عمر اتبعهم يقول: يا قَوْم أذكّرُكم الله ألاَّ تخذلوا قومكم ونبيّكم، ولكنهم ولوا عنه مدبرين.

فكان هذا جلاءً لشر كشفه ربُّ الأرض والسموات ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾(٢).

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشّعْبَ من أُحُد في عُـدْوَة الوادي إلى الْجَبل، ثم جعل ظهْـرَهُ وعسكَره إلى الجبل، وقال: «**لا يُـقاتِلَنّ أحدٌ منكم حتى نأمُـرَهُ بالقتال**».

وتعبّأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة رجل، وتعبّأت قريش، وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فارس، جاعلين على مَيْمَنة الخيلِ خالدَ بن الوليد وعلى ميسرتها عِكْرمة بن أبي جهل.

قام الرسولُ مُـمْسِكا سيفاً، فقال: مَـنْ يأخذُ السيف بحقّه؟ فقال أبو دُجانة: وما حقُّهُ يا رسول الله؟ قال: «**أن تضربَ به العدوّ حتى ينحني**»، قال: أنا آخُذُه يا رسولَ الله بحقه. فأعطاهُ إياه، فلما أخذ السيف مِنْ يدِ رسول الله ﷺ أخرج عصابةً له فَعَصَبَ بها رأسه، وجعل يتبَخْـتَر بين الصفين، فقال الرسول: «**إنها لمِشْيَـةٌ يُـبْغضها الله إلا في مثل هذا الموْطن**».

---

(١) اللّأمَة: أداة الحرب كلها من رمح وسيف ودرع.

(٢) سورة: آل عمران، الآيات: ١٦٧ ـ ١٦٨.

وهذا أبو سفيان يتقدم إلى أصحاب اللِّوَاءِ من بني عبد الدَّار، يُحَرِّضهُمْ على القتال ويقولُ: يا بني الدار، إنكم قد وليتم لواءَنا يوم بدر، فأصَابنا ما قد رأيتم، وإنما يُؤْتىٰ الناس من قِبَل راياتهم إذا زالت زالُوا. فإما أن تَكْفُونا لواءنا، وإما أن تخلو بيننا وبينه فنكفيكُمُوه، فهمُّوا به وتَوَعدوهُ، وقالوا: نحن نسلم إليكَ لواءنا؟! ستعلمُ غداً إذا التقينا كيف نصنع!

وهذه هند بنت عتبة في النسوة اللاتي احتشَدْنَ معها، أخَذْنَ الدُّفوف يضربن بها خَلفَ الرجال محرضاتٍ على القتال.

التحمت الموقعة، واستعَرّ القتال، وحميَتِ الحرب، وأبو دُجانة يقاتِل بسيف الرسولِ، وبينما هو في كِفاحه وجلاَده إذا بإنسان يحَرِّض الناس ويدفعهم دَفعاً شديداً إلى قتال المسلمين، فصمد له أبو دُجانة، حتى إذا حمل السيف فَسَله على رأسِهِ وَلْوَلَ وانتَحَب، وضَجّ وصَخِب، فإذا هي هند بنت عتبة، فأكرم أبو دُجانة سيفَ الرسولِ أن يضرب به امرأة.

وهذا وحْشيّ الحبشيّ يتحيَّنُ الفرص، لينفذ إلى قتل حمزة حتى يعتق، فإذا به يراه صائحاً كالجمل الأوْرَق[1]، فيقدم عليه وحشي، فيطعنه بحرْبته، فيخرّ صريعاً شهيداً في سبيل الله.

اشتد القتالُ يوم أُحُد، وجلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، يقوِّي عَزْم المسلمين، ويربط على قلوبهم بالصبر والتقوى، ويحذرهم المخالفة؛ فلا يتركون مركزِهم، ولا يغترُّون ببوادرِ النصْرِ، ولا يُؤْخَذون ببريق من متاع الحياة، ولا يَحْرِصُون على جمع الغنائم، وتعقُّب المشركين طمعاً في زينة الحياة.

أنزل الله نَصْرَه على المسلمين، وصدَقَهم وَعْدَه، حتى أزالُوا المشركين عن عسكرهم، وكانت الهزيمة منهم قابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى، وَوَلّى الكُفارُ الأدبار، إلاّ أن نَزْوَةً من النزوات الشيطانية، وَهَفْوَةً ما تزالُ تعتري النفسَ الإنسانية، صرفت جموعَ المسلمين عن متابعةِ النصر، وموالاةِ المشركين حتى النهاية، وَأنسَتْهم نُصْحَ نبيهم.

---

(١) الأورق من الإبل: ما في لونه بياض إلى سواد.

وقد كان في أُخراهم يدعوهم: «إليّ عبادَ الله، إليّ عبادَ الله»! فانصرفوا عنه، وانكَبُّوا على الغنائم، وانخذلُوا عن مواقفهم، وعَصَوْا أمْرَ الرسول ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾(١).

وقع هذا بعد أن كان النَّصْرُ معقوداً لِوَاؤُهُ للمسلمين، وكان لِوَاءُ الكُفار مع غلام لأبي طلحة، فقاتل حتى قُطِعَتْ يَدَاه، ثم أخذه بصَدْرِه وبَرك عليه؛ فأسرعت إليه عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعته؛ فلاذَتْ به قريش، واجتمعت تحت ظلاله.

تراجع المسلمون، وَخُضِدَت(٢) شوكتهم، وَغَشِيهم فتُور وَضَعف، وداخل قلوبَهم الهمُّ، وَشُغلوا عن ذكر الله، فرجع عليهم القومُ، وكان اليوم يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه مَنْ أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدوُّ إلى رسول الله ﷺ؛ فأصيبت رَبَاعِيَته(٣)، وَشُجَّ وَجْهُه، وَكُلِمت شفتُه.

ثم شاع أنَّ محمداً قد قُتِلَ، فاضطرب أمْرُ المسلمين، وَانْفَرط عِقْدهم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾(٤).

ثم أبصر كَعْب بنُ مالك الرسولَ ﷺ، وعيناه تَزْدَهِرَان تحت مِغْفَره(٥)، فنادى بأعلى صوته: يا معشرَ المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ.

فلما عرف المسلمون الرسولَ ﷺ نهضُوا به، ونهض معهم نحو الشِّعب، ومعه أبو بكر، وعُمَر، وعليّ، وطلحة بن عبد اللَّه، والزُّبير بن العوام، وَرَهْطٌ من المسلمين، فأدركه أُبيُّ بن خلف، وهو يقول: أيْنَ محمد؟ لا نجوتُ إنْ نَجَا!

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: ١٥٥.
(٢) خضد الشوك: نزعه من شجره. ويقال: خضد شوكة فلان أي كسر حدته.
(٣) الرباعية: السن بين الثنية والناب.
(٤) سورة: آل عمران، الآيتان: ١٤٤ و١٤٥.
(٥) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

فقال القوم: يا رسولَ الله، أيعطف عليه رجلٌ منّا؟ فقال الرسول ﷺ: دعُوه، فلما دنا تناولَ الرسولُ عليه الصلاة والسلام حربةً ضرب بها عُنُقَهُ، فكانت سبباً في مَوْته. ثم قَدَّم عليٌّ للرسول ﷺ مَاءً، فغسل دمَه، ثم أصابه عليه الصلاة والسلام ضَعْفٌ، فكان يصلِّي من قُعُود.

وقفت رَحَى الحربِ بين المسلمين والكُفار في أحد، وقد هُزِم المسلمون فيها، واستُشْهِدَ منهم سبعون من الأخيار الطاهرين، بعد أنْ لمسوا النَّصْرَ بأيديهم، ولكن هكذا قدَّر الله وهو خَيْر الحاكمين: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم(١) بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾(٢).

انتهت الموقعةُ، وأراد أبو سفيان بن حَرْب الانصرافَ، فأشرف على الجبَل، ثم صرخ بأعلى صوته: اعلُ هُبَل، إنَّ الحربَ سِجَالٌ(٣)، يَوْمٌ بيوم! فقال الرسول الله ﷺ: «قُمْ يا عمر فأجِبْهُ» فقال: الله أعلى وأجلُّ، لا سَواء! قَتْلانَا في الجنة، وقتلاكُم في النار. فلما أجاب عمر قال له أبو سفيان: هلمَّ إليَّ يا عمر. فقال الرسول ﷺ لعمر: «ائْتِهِ؛ فانظر ما شأنُه». فجاءه، فقال أبو سفيان: أنشدكَ الله يا عمر، أَقَتَلْنَا محمداً؟ قال عمر: اللهمَّ لاَ، وإنه ليَسْمَعُ كلامَكَ الآن.

---

(١) تحسونهم: تقتلونهم.

(٢) سورة: آل عمران، الآيات: ١٥٢ ـ ١٥٤.

(٣) سجال جمع سجَل: وهو النصيب من كل شيء ومنه: الحرب بينهم سجال أي نصرتها بينهم متداولة.

ولما انصرف أبو سفيان بعث الرسولُ ﷺ عليًّا أن اخرجْ في آثار القوم؛ فإنْ جَنَّبُوا[١] الخيلَ، وامْـتَطوا الإبل، فإنهم يريدون مكةَ، وإن ركبوا الخيل، وساقوا الإبل، فهم يريدون المدينة، والذي نَفْسِي بيده إن أرادُوها لأسيرنَّ إليهم فيها، ثم لأناجِزَنَّهم[٢].

ولكن أبا سفيان وقومه رجعوا إلى مكة بعد أنْ مَثَّلَ المشركون بكثير مِنْ قَتْلَى المسلمين، فكانت نساؤهم يَجْدَعِنْ الأنوف، ويقطعْنَ الآذان، ويَتَّخِذْنَ منها قلائد، وبَقَرَت[٣] هند بَطْنَ حمزة عَمِّ رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم أخذت كبده، وجعلت تَلُوكها[٤]، فلم تُسِغْها فَلَفَظَتْها.

وقد أمر رسول الله ﷺ فَسُجِّيَ ببرده، ثم صلّى عليه، ثم أتى بالقَتْلَى إلى جانب حمزة، فصلّى عليهم اثنتين وسبعين صلاة، ثم أمر بِدَفْنِهم جميعاً.

ثم خرج عليه الصلاة والسلام في أثر العدوّ واللواءُ معقودٌ لم يُحَلّ، حتى وصل حَمْرَاء الأسد[٥]، على ثمانية أميال من المدينة، ليُرْهِبَ قريشاً، وليعلموا أنَّ قوةَ الله لا تُغْلَب ولا تُفَلّ.

فلما علم بذلك أبو سفيان وأصحابُه فُتَّ في عضدهم، فمضوْا سِرَاعاً إلى مكة، ينتظرون بَطْش محمد في كل حين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى[٦] لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[٧].

(١) جَنَّبَ الفرس: صار إلى جنبه أو مشى إلى جنبه.
(٢) ناجَزَه الشيء: عاجله أو أسرع به، يقال: ناجزه الحرب ونحوها: نازله وقاتله.
(٣) بقَرت البطن: شَقَّتها.
(٤) لاكه لوكاً: أداره في فمه.
(٥) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة.
(٦) نملي لهم: أي إملاءنا لهم بتطويل الأعمار وتأخيرهم.
(٧) سورة: آل عمران، الآيتان: ١٧٧ و١٧٨.

سيد الشهداء

كان حمزة بن عبد المطلب سيّداً من سادات قريش خُلُقاً وخَلْقاً، ومن أقواهم بأساً وأنفذِهم عزماً، وأبعدهِمَ هِمّةً وإقداماً، وكان أيضاً عمَّ رسول الله ﷺ وأخاه من الرّضاع، أرضعَتهما ثويبة مولاة أبي لَهب، فقارب الرَّضاع بين نفسيْهما، وألّف بين قلبيهما، وعاشا صَدْرَ أيّامهما على الرَّحِم القريبة، والوُدّ المصفّق الموصول.

ثم كانت بعثته عليه السلام، ودعوتُه إلى الإسلام سرًّا، واتخاذه دار الأرقم بن الأرقم لمن يؤمن به ملاذاً، فلم يؤمِنْ به إلا القليل؛ ثم أمر الله بالجهر، وأن يُعلن الرسالة، وأن ينذِر قومَه مبتدئاً بعشيرِته الأقربين، وأخذ الإسلامُ ينتشر رويداً رويداً، ويدخل الناس في الدّين الجديد أفراداً وجماعات، فهلعت قلوب الرُّؤساء من قريش، وخافوا على زعامتهم، وأشفقوا على آلهتهم وأصنامِهم، فأعلنوا العدواة والإيذاء، وصارحوا رسول الله بالسفاهة والبغضاء، وكان من أشدِّهم أذى وكيداً، وأكثرهم نُكْراً، أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي؛ افتنّ في إيذاء الرسول بيدِه ولسانِه، وبذَل في إيذاءِ صحبه كلَّ جهده وإمكانِه، حتى كان هذا الإيذاءُ حديثَ القوم وموضعَ اللائمة لعشيرته، أن تقاعدوا عن نُصرة محمد، ولم يحموهُ من أبي جهل ونُظرائه.

وكان حمزة يمشي في بعض شِعَاب مكة إلى بعض شؤونه، فطلعتْ عليه جارية ممنّ سمعت بإيذاء أبي جهل، وإمعانه في الكيد، فقالت له تُعَيِّره: ما بالك يا حمزة، وأنت في الصَّميم من بني هاشم، أبوك عبد المطلب، وأخوك أبو طالب، ومحمد أقربُ الناس إليك وأدناهم من قلبك ينَالُ من الأذى والمكروه ما لا يستحقّه ولا يليق به؟! فقال حمزة: ويلكِ ما تقولين؟ من يؤذيه؟ قالت: أبو جهل؛ أصبح إيذاؤه لمحمد قصة تُروى وحديثاً يسير! فكأنما كان حمزة في سنةٍ[1] عميقَة فاستيقظ، أو غفلةٍ محيطةٍ فصحَا وانتبه، وانصرف إلى أبي جهل مَغيظاً هائجاً؛ فقال له: كيف تسبُّ محمداً، وقد علمتَ أنه ابنُ

(١) سِنَة: نعاس.

أخي!؟ وكيف تؤذيه؛ وهو أخي في الرضاع؟! قال أبو جهل: ويحك! أما علمت أنه يسبُّ آلهتَنا، ويسفِّه عقولنا، ويصطنع ديناً جديداً! فقال حمزة حميّةً وانتصاراً: اسمعها يا أبا جهل كلمة واضحة جليّة؛ إني منذ اليوم على دين ابن أخي، وحذار أن يمسّه منك سوءٌ بعد اليوم!

وانطلق حمزة إلى الرّسول عليه السلام، وصَفق على يديْه، وأعلن الإسلام، ومن ذلك اليوم عزّ الدين بحمزة، وحالف رسولَ الله على الجهاد، ولازمه في كل مواقفه ومشاهده.

كانت غزوة بدر، وأبْلى حمزة فيها البلاء الأكبر، وأبدى من البسالة والشجاعة والتنكيل بقريش، ما جعله في المقدّمة من المجاهدين، فتل شيبَة بن ربيعة، وشارك في قتل أخيه عقبة، ثم قتل طعيمة بن عديّ؛ وغير هؤلاء؛ مما دعا رسول الله ﷺ أن يلقّبه أسد الله.

وعاد المسلمون من بدر مظفّرين منصورين، ورجع المشركون من قريش وفي قلوبهم الحزن والثّكْل، وفي عزمهم الثأر والانتقام؛ وكان جُبير بن مطعِم من أوجعهم قلباً، وأثقلهم بالهمّ نفساً، وأشدّهم رغبة في ردّ الكيد بمثله؛ إذ كان طعيمة بن عدي عمّه وربيبه، وأرأف الناس عليه بعد أبيه، واحتمل في نفسه لحمزة الغل والحقد، والعزم الأكيد، أن ينال ثأره منه وإن طال الزمان.

وكانت غزوة أُحد، وخرج النبي ﷺ في صَحبْه والصناديد من قومه، وخرجت قريش برجالها وأضغانها وأحقادها، وكانت معركة قُتل فيها من المسلمين عدد وافر، ومنهم حمزة سيد الشهداء، قتله وحشي غلام جُبير بن مطعم.

قال وحشيّ: كنت غلاماً لجُبير، ولما شاعت قريش الخروج إلى أُحُد، قال لي جُبير: إن قتلتَ حمزة بعميّ طُعَيمة فأنت عتيق. قال: وكنت حبشيًّا أقذف بالحربة قذفَ الحبشة، فلا أُخطىء بها شيئاً، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة رحمه الله، حتى رأيته في عرض الجيش مثل الجمل الأوْرَق يهدّ الناس هدًّا، ما يقوم له شيء؛ فوالله إني لأتَهيّأ له، وأستتر منه بحجر أو شَجَرٍ، إذا به يدنو مني، وتقدّمني إليه سِباع بن عبد العزّى، فلما رآه حمزة ضربه؛ فوالله ما أخطأ رأسه؛ وهززت حربتي حتى رضيت منها دفعتها إليه، فوقعت في بطنه حتى خرجت من بين رجليه؛ فذهب لِيَنُوءَ فحنى، فَغُلِب، فتركته حتى مات

رضي الله عنه، ثم أتيتُه فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى الناس فعدت في العسكر، ولم يكن لي بغيره حاجة؛ إنّما قتلتُه لأُعتَق.

وجاء رسول الله ﷺ، فرآه صريعاً، فلم يَرَ شيئاً كان أوجع لقلبه منه، وقال متألماً: «**والله لأقتلنّ بك سبعين منهم**»؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[1] فقال رسول الله ﷺ: «**بل نصبر يا ربّ**».

ومرّت الأيام، ودارت السنون والأعوام، وأسلم وَحْشي فيمن أسلم؛ ودخل على رسول الله ﷺ فيمن دخل. فقال له: «**أنت وحشي**»؟ قال: نعم، قال: «**أنت قتلت حمزة**»! قال: قد كان قدراً، فقال له رسول الله ﷺ: «**فهل تستطيع أن تغيب عن وجهي**»!!

قال وحشيّ: فلما قُبض رسول الله ﷺ خرج الناس إلى مُسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجنّ إليه لعلي أقتله، فأكافيء به قتل حمزة، قال: فخرجت وكان من قتله مسيلمة ما كان!

قال ابن عبد البر: وكان بعد ذلك وحشيٌّ يقول: قتلتُ بحربتي هذه خيرَ الناس، وشرّ الناس!!

---

(١) سورة: النحل، الآية: ١٢٦.